بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

اللِّقَاءُ الْأَوَّلُ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَى بَابِ: (مَنْ يَسْتَحِقّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيْهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيْقَةً لَا مَجَازًا وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ)، مِن كِتَابِ: (جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ)؛ لِابْنِ عَبْدِالْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، تَعْلِيْقُ صَاحِبِ الْفَضِيْلَةِ الْمُدَرِّسِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ: أَبِيْ أَنَسٍ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ.

السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِيْنَ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ، وأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إلا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَلِيُّ الصَّالِحِيْنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وصَفِيُّهُ، وَخَلِيْلُهُ، وَأَمِيْنُهُ على وَحْيِهِ، وَخِيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، صَلَّى اللهُ عليه، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ، وأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَحَيَّاكُمُ اللهُ _مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ_ في هذا الْلِقَاءِ، الذي نَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا العالِمَ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ أَنْ يَجْعَلَ الأعمالَ والأقوالَ والنِّيَّاتِ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ.

وعلينا جَمِيْعًا أَنْ ندعوَ اللهَ جَلَّ وَعَلَا بِأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ في القولِ والعَمَلِ، وأَنْ يجعلَ ما نقولُهُ صَوَابًا على سُنَّةِ رسولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ نَقْصِدَ به نَفْعَ أَنْفُسِنَا أَوَّلًا، وإِخوانِنَا ثَانِيًا، وَالنَّصِيْحَةَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ ثَالِثًا.

أَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنِي وإِيَّاكُمُ الْإِخْلَاصَ له في القَوْلِ والْعَمَلِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الإِخْلَاصَ في القَوْلِ والعَمَلِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ والْعَمَلِ، وأَعِذْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، يا حَيُّ يا قَيُّوْمُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ؛ هذا السُّؤَالُ الذي جَاءَ، الْبَارِحَةَ جَاءَنَا، وَجَرَّنَا إلى أَنْ نَقْرَأَ في هذا البَابِ، أَوَّلًا: هذا البابُ ليس بِغَرِيْبٍ، وثَانِيًا: هو متناثِرٌ، ويَمُرُّ علينا كَثِيرًا، أقاويلُ العلماءِ فيه متناثرةٌ في كُتُبِ الْعِلْمِ، في أَدَبِ الطَّلَبِ، إلى غَيْرِ ذلك.

ولَكِنْ هنا في هذا الكِتَابِ؛ لِأَنَّ الكتابَ خَاصٌّ بما ينبغي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِهِ حامِلُ الْعِلْمِ وناقِلُ الْعِلْمِ وطَالِبُ الْعِلْمِ ومُسْتَمِعُ الْعِلْمِ، فهو مُتَخَصِّصٌ في هذا البَابِ، ثم إِنَّهُ عَقَدَ تَرْجَمَةً صَرِيْحَةً هي الجوابُ لِسُؤَالِ الْبَارِحَةِ الذي وَرَدَ عَلَيْنَا.

فالكلماتُ (كَمَا قُلْتُ) والآثارُ والأَخْبَارُ الوَارِدَةُ في هذا كثيرٌ، لكنَّهُ جَعَلَ لها عنوانًا مُلْفِتًا بَارِزًا يَشِدُّ الأَسْمَاعَ وَالْأَذْهَانَ عِنْدَ السَّامِعِ.

فَلَمَّا كان كذلك؛ أَحْبَبْنَا أَنْ نَقْرَأَهُ لِلتَّذْكِيْرِ، وَإِلَّا (فَكَمَا قُلْتُ) العِبَارَاتُ متناثرةٌ في جميعِ كُتُبِ آدَابِ الطَّلَبِ، لكن لَمَّا جَمَعَهَا هنا تَحْتَ بَابٍ، مَا جَمَعَهَا وَاسْتَقْصَاهَا، لَكِنْ لَمَّا جَعَلَ لها بَابًا مُسْتَقِلًّا، وتَرَجَمَ له ترجمةً مستقِلَّةً صريحةً مُلْفِتَةً لِلنَّظَرِ؛ أَحْبَبْنَا أَنْ نُذَكِّرَ بها، وإلا فهذا الموضوعُ لو جُمِعَ فيه؛ لَجَاءَ مُجَيْلِيْدٌ مُسْتَقِلٌّ في هذا البَابِ.

فَنَحْنُ نَقْرَؤُهُ وهو يَدُلُّنَا على البَاقِي، ونَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيْعًا الإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ (كَمَا قُلْتُ فِي أَوَّلِ الْحَدِيْثِ)، نَعَمْ.

[القارئ]: الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا وَلِشَيْخِنَا وَوَالِدِينَا وَالسَّامِعِينَ، قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَغَفَرَ اللهُ له في كِتَابِهِ "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ":

[الْمَتْنُ]: بَابٌ: مَنْ يَسْتَحِقّ أَنْ يُسَمَّىٰ فَقِيْهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيْقَةً لَا مَجَازًا.

[التَّعْلِيْقُ]: نَعَمْ، أَوَّلًا نَبْدَأُ بهذا (بَابُ مَنْ يَسْتَحِقّ أَنْ يُسَمَّىٰ فَقِيْهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيْقَةً لَا مَجَازًا): يَعْنِي: مَنْ هُوَ الذي يَصِحُّ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الْوَصْفَ، أَنْ نَقُوْلَ عَنْهُ: (فَقِيْهٌ)، ومَن الذي يَصِحُّ أَنْ نقولَ عنه أَنَّهُ: (عَالِمٌ).

والمرادُ بـ(الْعَالِمِ) وَ(الْفَقِيْهِ): الذي تَوَافَرَتْ فيه الصِّفَاتُ الَّتِيْ لِأَجْلِهَا تَأَهَّلَ وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُطْلَقَ عليه هذا الوَصْفُ.

(حَقِيْقَةً): يعني: اتَّصَفَ بذلك حَقِيْقَةً، فَأَخْرَجَ الْمُبَالَغَةَ فِي: أَنْ يُنْفَخَ الصَّغِيرُ، وَأَنْ يُعَظَّمَ مَنْ لا يَسْتَحِقّ التَّعْظِيمَ، وأَنْ يُرْفَعَ الوَضِيعُ، وأَنْ يُسَوَّدَ الْجَاهِلُ، بَابُ الْمَجَازِ كَبِيرٌ وَاسِعٌ، قُلْ فيه ما شِئْتَ، والتَّسَاهُلُ في هذا البَابِ يَرِدُ.

والحقيقةُ يَكْتَشِفُهَا النَّاسُ عندما يَتَصَدَّرُ ذلكم الْمُتَكَلِّمُ لِلتَّدْرِيْسِ وَالْإِفْتَاءِ، فَيَظْهَرُ العالِمُ الْحَقِيْقِيُّ، وَيَظْهَرُ الْفَقِيْهُ الحقِيقِيُّ مِنَ الدَّعِيِّ، أو الْمُدَّعَى له.

فهذا هو المرادُ (حَقِيْقَةً)؛ يعني: واقِعُهُ يُصَدِّقُ قَوْلَ النَّاسِ فيه إنه: (عَالِمٌ)، وَإِنَّهُ: (فَقِيْهٌ)، يُصَدِّقُ قَوْلَ النَّاسِ فيه إنه: (عَالِمٌ) وَ(فَقِيْهٌ)، فَحَيْثُمَا قَلَبْتَهُ وَقَلَّبْتَ عِلْمَهُ؛ وَجَدْتَهُ، فهذا هو العالِمُ الحقِيقِيُّ وَالْفَقِيْهُ الْحَقِيْقِيُّ.

أَمَّا الذي يُدَّعَى له ذلك ويُنْفَخُ بما ليس فيه؛ فهذا يَنْكَشِفُ حالُهُ إذا ما وَرَدَتْ وَاصْطَكَّتْ الْمَجَامِعُ عليه ووَرَدَتْ عليه السُّؤَالَاتُ مِنْ ها هُنَا وها هُنَا؛ ظَهَرَتْ حَقِيقَتُهُ، ويُعْلَمُ أَنَّهُ حِيْنَئِذٍ لَيْسَ كَمَا قِيْلَ، نَعَمْ.

[القارئ]: قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

[الْمَتْنُ]: وَمَنْ يَجُوْزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ.

[التَّعْلِيْقُ]: مَن الذي يجوزُ له الفُتْيَا عند أَهْلِ الْعِلْمِ؟ هو العالِمُ والفَقِيهُ الحَقِيقِيُّ، الذي يجوزُ له الفُتْيَا عند العلماءِ هو العالِمُ الحقيقيُّ والفَقِيهُ الحَقِيقِيُّ.

فَيَخْرُجُ بذلك مَنْ وُصِفَ بهذا على غَيْرِ حَقِيْقَةٍ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِيْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَاللهِ ابْنَ مَسْعُوْدٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ، قَالَ: تَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قُلْتُ: اللهُ ورَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاْسِ أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إِذَا فَقِهُوْا فِي دِيْنِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ، قَالَ: تَدْرِيْ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَعْلَمُ النَّاْسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى إِسْتِهِ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ، وذَكَرَ مِثْلَهُ أَوْ نَحْوَهُ.

قَالَ أَبُوْ يُوْسُفَ: وَهَذِهِ صِفَةُ الْفُقَهَاءِ[1].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِيْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ، ثَلَاْثَ مَرَّاْتٍ، قَالَ: تَدْرِيْ أَيُّ عُرَىْ الْإِسْلَاْمِ أَوْثَقُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ ورَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الْوَلَاْيَةُ فِي اللهِ، الْحُبُّ فِيْهِ، وَالْبُغْضُ فِيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَاْ رَسُوْلَ اللهِ، ثَلَاْثَ مِرَارٍ، قَالَ: أَتَدْرِيْ أَيُّ النَّاْسِ أَفْضَلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ النَّاْسِ أَفْضَلُهُ عَمَلًا إِذَا فَقِهُوْا فِي دِيْنِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَاْ رَسُوْلَ اللهِ، ثَلَاْثَ مِرَارٍ، قَالَ: أَتَدْرِيْ أَيُّ النَّاْسِ أَعْلَمُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَعْلَمُ النَّاْسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاْسُ وَإِنْ كَاْنَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: "أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا" مَكَانَ: "أَفْضَلُهُمْ عِلْمًا"، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: وَإِنْ كَاْنَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ، وَإِنْ كَاْنَ يَزْحَفُ عَلَى إِسْتِهِ.

---

[1] _ في الأصل: قال الشيخ حفظه الله هنا: "اللهُ أَكْبَرُ".

[التَّعْلِيْقُ]: الحمدُ للهِ، هذه الطُّرُقُ الْمَتْنُوِّعَةُ الْمُتَعدِّدَةُ إلى عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ عَنْهُ كما سَمِعْتُمْ، وهي جَمِيْعُهَا لا تخلو مِنْ مقالٍ، ولَكِنْ في جُمْلَةٍ منها أو جُمَلٍ صحيحةٌ، ومعناها _وإنْ لم يَثْبُتْ هنا النَّقْلُ_ صحيحٌ.

فَأَمَّا أَنَّ العِلْمَ _كما سَمِعْنَا_ (وأَفْضَلُ النَّاسِ عِلْمًا إذا فَقِهُوْا في دِيْنِهِمْ)، (أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إذَا فَقِهُوْا فِي دِيْنِهِمْ): فقد جاء فيه: (خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ _إذَا...؟_ إذَا فَقِهُوْا).

فَالْفِقْهُ فِي دِيْنِ اللهِ يَفْضُلُ بِهِ الْعَبْدُ على غَيْرِهِ، ويَزِيْدُ به دَرَجَةً وَنُبْلًا على مَنْ ليس كذلك، ويقولُ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ"؛ فهو مِثْلُ: (خِيَارِهِمْ إذَا فَقِهُوْا) تَمَامًا.

وأَمَّا قَوْلُهُ: "تَدْرِي أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟": فقد جَاءَ مِنْ طُرُقٍ أُخْرَى وَمِنْ وُجُوْهٍ أُخْرَى: (فَأَوْثَقُ عُرَى الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ والبُغْضُ فِي اللهِ)؛ وهذا حديثٌ حَسَنٌ، في الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ، وَإِنْ كانَتِ الطَّرِيقُ هنا الَّتِيْ سَاقَهَا ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ ضَعِيْفَةً، وبَعْضُهَا ضَعِيْفَةٌ جِدًّا، إلَّا أَنَّهُ وَإِنْ ضَعُفَتْ هذه الجملةُ في هذا الإسنادِ؛ قد ثَبَتَتْ بِإِسْنَادٍ آخَرٍ.

فَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً هُمْ مَنْ مَنَّ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِمْ بِالْفِقْهِ فِي دِيْنِ اللهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: "خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إذَا فَقِهُوْا"، وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا..."؛ فهذا الخيرُ الذي يَنْزِلُ عليه بِسَبَبِ الْفِقْهِ يَكُونُ به أَيْضًا هو مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ.

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْفِقْهَ هو مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيْلِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ بِدَلِيْلِهِ، فهذا هو الفقهُ في دِينِ اللهِ، لَا الرَّأْيُ (كَمَا سَيَأْتِينَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ قَلِيْلٍ).

فَالْمَعْرِفَةُ بِالأَحْكَامِ وَبِدَلَائِلِهَا مِنَ الكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وآثَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ عَنْهُم؛ هذا هو الْفِقْهُ، أَمَّا الرَّأْيُ فَلَيْسَ بِفِقْهٍ، وَلِذَلِكَ تَعْلَمُونَ جَمِيْعًا الأبياتِ السَّائِرَةَ الْمَنْسُوْبَةَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ:

دِيْنُ النَّبِيِّ مُحَمّدٍ آثَارُ ... نِعْمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْأَخْبَارُ

لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيْثِ وَأَهْلِهِ ... فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيْثُ نَهَارُ

وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَى طُرُقَ الْهُدَىْ ... وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْفِقْهِ؟ فَقَالَ: وهَلِ الْفِقْهُ إِلَّا الْحَدِيثُ؟!

فَالْفِقْهُ هو معرفةُ الْهُدَى بِدَلَائِلِهِ، مَعْرِفَةُ الْحَقِّ بِدَلِيلِهِ، هذا هو العلمُ، وهذا هو الفقهُ الحقِيْقِيُّ، وهو الذي يَسْتَحِقّ أَنْ يُسَمَّى صَاحِبُهُ "عَالِمًا"، وأَنْ يُسَمَّى صَاحِبُهُ "فَقِيْهًا"، فَإِذَا عَلِمَ الْهُدَى بِدَلِيْلِهِ؛ هذا هو العالِمُ، إذا جَاءَ بِالْمَسَائِلِ وأَدِلَّتِهَا؛ هذا هو الفقيهُ، وَيَسْتَنْبِطُ منها؛ هذا هو الفقيهُ، فعندك الْفِقْهُ (بَابٌ)، ومَعْرِفَةُ الْخِلَافِ أَيْضًا (بَابٌ آخَرُ).

عندنا بَابَانِ هنا: بابُ الْفِقْهِ: أَنْ تَفْقَهَ الْهُدَى مِنْ دَلِيلِهِ، تَعْرِفُ الْحُكْمَ بِدَلِيلِهِ.

وَأَنْ تكونَ على اطِّلَاعٍ بِاخْتِلَافِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ هذا بابٌ آخَرُ، كَانَ يُمْدَحُ به العالِمُ ويَنْبُلُ عِنْدَ النَّاسِ ويَرْتَفِعُ قَدْرُهُ.

بَلْ بَعْضُهُمْ لا يراه عالِمًا حَتَّىْ يَعْرِفَ هذا البَابَ، فيَمْدَحُونَهُ بَقَوْلِهِمْ: "كَانَ فَقِيهًا وَبَصِيرًا بِالْخِلَافِ"، وبعبارَةٍ أُخْرَى تَجِدُوْنَهَا فِي كُتُبِ الْعِلْمِ فِي الْمَدْحِ، يَقُولُونَ: "كَانَ رَأْسًا فِي الْفِقْهِ، رَأْسًا فِي

مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ"، فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ، أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْتَى يُفْتِي عن عِلْمٍ؛ هذه المسألةُ فيها: خِلَافٌ، لكن الرَّاجِحُ كذا، فيها: قَوْلَانِ، فيها: ثَلَاثَةٌ، فيها: أَرْبَعَةٌ... هذا هو الْفَقِيهُ، هذا هو العالِمُ.

ما هو مِثْلُ الآنَ أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ عَلَّامَةٍ (الَّتِيْ هي الْمُبَالَغَةُ) تُطْلَقُ على كُلِّ أَحَدٍ!!!

كما قُلْتُ قَدِيمًا: أَصْبَحَتْ تُبَاعُ فِي سُوْقِ أَبُو رِيَالَيْنِ، كُلُّ أَحَدٍ يُقَالُ عَنْهُ: "عَلَّامَةٌ" لِلْأَسَفِ، لِلْأَسَفِ.

فيا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ هذا هو الْفِقْهُ، وهذا هو الْعِلْمُ؛ فَأَنْ يكونَ العالِمُ عالِمًا بِالْأَدِلَّةِ وَعَارِفًا بالْخِلَافِ هذا هو العالِمُ الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَفْتَى ويُرْجَعَ إِلَيْهِ.

كم...؟ مَسْأَلَتَانِ، يُسْتَفْتَى، ويُرْجَعُ إليه، يُحَالُ النَّاسُ إليه، ويَجْلِسُ مَنْ أرادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ عليه بَيْنَ يَدَيْهِ.

هذا الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَفْتَى، ويُحَالَ عليه، ويَرْجِعَ مَنْ أرادَ أَنْ يَدْرُسَ إِلَيْهِ، وَيَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فهؤلاءِ هُمُ الأَهْلُونَ لهذا البَابِ.

وأَمَّا أَنْ يُجْلَسَ إلى كُلِّ أَحَدٍ!!! فهذه مِنَ المصائِبِ الَّتِيْ ابْتُلِيَ بها النَّاسُ في هذا الزَّمَانِ، ونَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا اللُّطْفَ.

والتَّقْصِيرُ يَرِدُ، التَّقْصِيرُ وَارِدٌ، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَيُقَصِّرُ.

لَكِنْ مَعَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ أو الصَّادِرِ إِذَا صَدَرَ مِنَ العالِمِ (إِذَا تَصَوَّرْنَا ذلك)؛ تَقْصِيْرُهُ هذا الذي حَصَلَ مِنْ قِبَلِهِ فِي العَمَلِ يُغَطِّيْهِ بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ نَفْعُهُ الْمُتَعَدِّي العَامُّ الذي نَفَعَ بِهِ النَّاسَ.

ولا شَكَّ أَنَّ[٢] الْعِبَادَةَ الَّتِيْ نَفْعُهَا مُتَعَدٍّ أَعْظَمُ مِنَ العبادَةِ الَّتِيْ نَفْعُهَا قَاصِرٌ على العابِدِ نَفْسِهِ، وَلِهَذَا شَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العالِمَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَشَبَّهَ العابِدَ العامِلَ بِالْكَوْكَبِ، فَفَضْلُ الْقَمَرِ على الكَوْكَبِ ظَاهِرٌ وَلَّا لَأْ؟! وَاضِحٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَضْلُ العالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ.

فالعابِدُ عَمَلُهُ جَلِيلٌ، لَكِنَّ نَفْعَهُ خَاصٌّ بِهِ، مُقْتَصِرٌ عليه، فَلَمَّا كَانَ خَاصًّا به كَانَ قليلَ النَّفْعِ لِلْغَيْرِ، نَفْعُهُ لِنَفْسِهِ، فهو كَضَوْءِ الكَوْكَبِ فِي مُحِيطِهِ، يُضِئُ لِنَفْسِهِ، فهذا نَفْعُهُ لِنَفْسِهِ.

أَمَّا العالِمُ فَنَفْعُهُ لِلنَّاسِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ عُمُومًا، فَشَبَّهَهُ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَمَرِ فِي أَجْمَلِ أَحْوَالِهِ وَمَرَاحِلِهِ (لَيْلَةِ الْبَدْرِ) أَكْمَلِ مَرَاحِلِهِ جَمَالًا، وَأَعْظَمِهَا نَفْعًا، إِضَاءَةً لِلنَّاسِ، فَاكْتَمَلَ نَفْعُهُ لِنَفْسِهِ، وَاكْتَمَلَ نَفْعُهُ لِغَيْرِهِ فِي هذا البَابِ.

فهو وإِنْ حَصَلَ تَقْصِيرٌ منه في جَانِبٍ، لَكِنَّ الجَانِبَ الآخِرَ _بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_ يَجْبُرُهُ، وهو عُمُومُ انْتِفَاعِ النَّاسِ بِعِلْمِهِ، وخَيْرِهِ، وَفَضْلِهِ الذي يُسْدِيهِ إليهم، فتَأْتِيهِ الأُجُورُ مِنْ هذا البَابِ أَكْثَرَ، ونَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ اللُّطْفَ وَالْمُسَامَحَةَ.

وَسُفْيَانُ (كَمَا قُلْنَا لَكُمْ بِالْأَمْسِ) الثَّوْرِيُّ يَقُولُ:

خُذْ مِنْ عُلُوْمِيْ وَإِنْ قَصَّرْتُ فِيْ عَمَلِيْ[٣] ... يَنْفَعْكَ عِلْمِي[٤] وَلَاْ يَضْرُرْكَ تَقْصِيْرِيْ

---

[٢] _ هنا في الأصل: "النَّفْعَ".

[٣] _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مبينا: "أَنْتَ مَا تَدْرِى مَا هِيَ الْأَسْبَابُ عِنْدِي؟".

[٤] _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مبينا: "الَّذِي أُعَلِّمُكَ بِهِ".

تَقْصِيْرِيْ عليَّ، وأَنْتَ تَنْتَفِعُ مِنَ العِلْمِ الذي أُعَلِّمُكَ به، وأنا أَيْضًا سأنْتَفِعُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدَى كَانَ له مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ (صَاحِبُنَا هُنَا) قَالَ: "هَذَا أَعْظَمُ حديثٍ لِلْمُعَلِّمِينَ"؛ هذا الحديثُ أعظمُ حديثٍ لِلْمُعَلِّمِينَ، كَيْفَ؟ كَمْ مِنَ النَّاسِ يهتدى على أَيْدِيْهِمْ؟! فَيَأْتُونَ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْمَعْرِفَةُ.

[التَّعْلِيْقُ]: أَفْضَلُ العِلْمِ المعرفةُ، وهذا أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى الْفَقِيْهَةُ، نَعَمْ؛ لِأَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ لَهُ زَوْجَانِ: الكُبْرَى والصُّغْرَى، فهذه الصُّغْرَى، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الشَّاعِرُ قَوْلَهُ _وَاللهُ أَعْلَمُ_[٥]:

خَيْرُنَا أَفْضَلُنَا مَعْرِفَةً ... وَإِذَا مَا عَرَفَ اللَّهَ عَبَدَ

[التَّعْلِيْقُ]: نَعَمْ، الْعِلْمُ إِنَّمَا هو مَعْرِفَةُ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، وَالْعِلْمُ هو الخَشْيَةُ (وَكَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ مَعَنَا)، فَمَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَاْ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}[٦] هذه الثَّمَرَةُ، بِسَبَبِ مَاذَا؟ بِسَبَبِ العِلْمِ {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}؟! الجَوَابُ: لَاْ {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

---

[٥] _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "وَهِيَ فَقِيْهَةٌ عَالِمَةٌ رَحِمَهَا اللهُ، هُجَيْمَةُ، بِعَكْسِ الْكُبْرَى، نَعَمْ".

[٦] _ الزمر (٩).

فَلَمَّا كَانَ عَالِمًا بِاللهِ عَارِفًا بِاللهِ كَانَ أَخْوَفَ مِنَ اللهِ {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ} : قَائِمٌ يُصَلِّي؛ {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[٧]، فَالْقُنُوتُ هنا القِيَامُ.

سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَفْضَلِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: "أَطْوَلُهَا قُنُوتًا"؛ أَيْ: قِيَامًا، كما قَالَ جَلَّ وَعَلَاْ: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}، فَالقُنُوتُ هنا القِيَامُ (طُوْلُ القِيَامِ).

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}؟! الجَوَابُ: لَاْ، {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} أَصْحَابُ العُقُولِ.

فهؤلاء لَمَّا عَرَفُوْا رَبَّهُمْ جَلَّ وَعَلَاْ بالعِلْمِ الذي مَنَّ اللهُ بِهِ عليهم كانوا أَعْرَفَ الخَلْقِ، فكانوا أَخْشَى الخَلْقِ له سُبْحَانَهُ، كما في الآيَةِ الأُخْرَى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[٨] فَقَصَرَ الخَشْيَةَ الحَقِيقِيَّةَ على أَهْلِ العِلْمِ، غَيْرُهُمْ يَخْشَاهُ، وَلَكِنِ الخَشْيَةُ الكَامِلَةُ على الوَجْهِ الْمَطْلُوبِ إِنَّمَا هي لِأَهْلِ العِلْمِ؛ لأَنَّهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، فَلَمَّا كَانُوْا أَعْلَمَ بِاللهِ كَانُوْا مِنْهُ أَخْوَفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٩]، قال: "إِلَّاْ لِيَعْرِفُوْنَ".

[التَّعْلِيْقُ]: (إِلَّاْ لِيَعْرِفُوْنَ)؛ يعني: يَعْرِفُونَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ، فهو خَالِقُ الخَلَائِقِ أَجْمَعِيْنَ، وهو الْمُسْتَحِقُّ للأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ العُلَا.

وهذه الْمَعْرِفَةُ تُوْرِثُهُمْ أيش؟ تُوْرِثُهُمُ العِبَادَةَ الحَقِيقِيَّةَ للهِ جَلَّ وَعَلَاْ؛ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ وعَرَفَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ على الوَجْهِ الصَّحِيحِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا وأَفْعَالِهِ الجَمِيلَةِ الحَمِيدَةِ قَامَ بِحَقِّهِ الذي

---

[٧] _ البقرة (٢٣٨).

[٨] _ فاطر (٢٨).

[٩] _ الذاريات (٥٦).

يَجِبُ عليه؛ مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ، {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[10]؟!

الجَوَابُ: لَا.

فإذَا الْمُرَادُ (لِيَعْرِفُونَ): أَيْ: لِيَعْرِفُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَجَمِيلِ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ، فَيُفْرِدُوهُ حِيْنَئِذٍ بالعِبَادَةِ؛ لأَنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوْا ذلك عَرَفُوْا أَنَّ هذا الخَالِقَ هو الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، فهذه الْمَعْرِفَةُ الَّتِيْ عَنَاهَا هؤلاء السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ رَحِمَهُ اللهُ: "إِلَّا لِيَعْلَمُوْا مَا جَبَلْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ".

[التَّعْلِيْقُ]: مِنَ الشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ، مِنَ الشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ، يَعْنِي: يَعْرِفُونَ أَقْدَارَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ؛ لِأَنَّ هذا مِنَ الإِيْمَانِ، فَإِنَّ الإيمانَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، كَمَا سَأَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ عَنْهُم النَّبِيَّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا؛ فقالوا: أَفَلا نَتَّكِلُ على كِتَابِنَا؟ قَالَ: لَا، اعْمَلُوْا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِلشِّقْوَةِ ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[11] خَرَّجَهُ أَبُوْ دَاوُدَ فِي السُّنَنِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ دَاْسَهْ.

وَالشَّاهِدُ: أَنَّ هذا؛ المرادُ بِهِ الْمَعْرِفَةُ بِقَدَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ الذي قَدَّرَهُ وَكَتَبَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ على العِبَادِ، ويَعْلَمُونَ أَنَّ ذلك كُلَّهُ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا كما قَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[12]، {مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[13].

---

[10] _ الزمر (٩).

[11] _ الليل (٥_١٠).

[12] _ القمر (٤٩).

[13] _ الأنعام (٣٩).

وَلَكِنْ هو السَّبَبُ أَيْضًا في هَذَا؛ {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}[١٤]، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[١٥]، {ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}[١٦]... إلى آخِرِهِ.

فما أَصَابَ العبدُ في هذا البَابِ فهو مُقَدَّرٌ عليه، ومَكْتُوبٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، والعبدُ لَهُ مَشِيئَةٌ وَقُدْرَةٌ وَاخْتِيَارٌ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: "مَا ازْدَادَ عَبْدٌ بِاللهِ عِلْمًا إِلَّا ازْدَادَ النَّاسُ مِنْهُ قُرْبًا".

[التَّعْلِيْقُ]: اللهُ أَكْبَرُ! (مَا ازْدَادَ عَبْدٌ بِاللهِ عِلْمًا): مَعْرِفَةً بِاللهِ، يَظْهَرُ عليه فِي عِبَادَتِهِ، فِي أَخْلَاقِهِ، فِي سُلُوكِهِ، فِي صِدْقِهِ، فِي مُعَامَلَتِهِ، فِي لُطْفِهِ بِالنَّاسِ، فِي شِدَّتِهِ مَتَى تَكُونُ الشِّدَّةُ، فِي تَعْلِيمِهِ لهم، فِي إِحْسَانِهِ إليهم، يَنْطَلِقُ مِنْ أَوَامِرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ ورَسُولِهِ صَلَوَاْتُ اللهِ وَسَلَاْمُهُ عَلَيْهِ، وَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ؛ مُرَّ بِجَنَازَتَيْنِ على النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَثْنَوْا على الأُوْلَى خَيْرًا؛ قَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ أَثْنَوْا على الثَّانِيَةِ شَرًّا؛ قَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالُوْا: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: الأُوْلَى أَثْنَيْتُمْ عليها خَيْرًا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ لها الجَنَّةُ، وَالثَّانِيَةُ أَثْنَيْتُمْ عليها شَرًّا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ؛ يعني: وَجَبَتْ لها النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في أَرْضِهِ.

فَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ في أَرْضِهِ، لَكِنَّهُمْ في ذَاكَ اليومَ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ في الأُوْلَى: وَجَبَتْ، وفِي الثَّانِيَةِ: وَجَبَتْ.

---

[١٤] _ الصف (٥).

[١٥] _ محمد (١٧).

[١٦] _ التوبة (١٢٧).

الآنَ يَبْقَى عِنْدَنَا إِطْبَاقُ النَّاسِ وَثَنَاؤُهُمْ بِالْخَيْرِ على عَالِمٍ مُعَيَّنٍ أو على رَجُلٍ مُعَيَّنٍ؛ نقولُ: هذا إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ عَلَامَاتِ الخَيْرِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ ما يُطْبِقُونَ على بَاطِلٍ، النَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ في أَرْضِهِ، فإذا شَهِدُوْا للإِنْسَانِ وَأَطْبَقُوْا على ذلك فَإِنَّ هذا يُرْجَى له الخَيْرُ، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ أَنْ يُوَفِّقَنَا وإِيَّاكُمْ.

وإِذَا أَطْبَقُوْا على العَكْسِ، على الأَمْرِ الآخَرِ، وأَثْنَوْا عليه شَرًّا _عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ_؛ فالنَّاسُ يَنْفِرُونَ منه، والنَّاسُ للهِ الحمدُ يَعْرِفُونَ ويَرَوْنَ، ولهم عُقُولٌ؛ فَإِذَا رَأَوْا صِدْقَ هذا الإنسانِ، وصِدْقُهُ أَنْ يُصَدِّقَ قَوْلَهُ بِعَمَلِهِ، فَالْأَعْمَالُ هي الَّتِيْ تُصَدِّقُ الدَّعَاوَى أو تُكَذِّبُهَا، فَإِذَا رَأَوْا تَصْدِيقَ هذه الأعمالِ لِلْأَقْوَالِ ازْدَادُوْا مِنْهُ قُرْبًا، وَإِذَا رَأَوْا خِلَافَ ذلك ازْدَادُوْا مِنْهُ بُعْدًا وعَلِمُوْا أَنَّهُ دَعِيٌّ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، ونَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ أَنْ يَسْتُرَنَا وإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ بِاللهِ عِلْمًا إلا ازْدَادَ النَّاسُ مِنْهُ قُرْبًا، فَهَؤُلاءِ إذا قُمْتَ فيهم بِأَمْرِ اللهِ أَحَبُّوكَ ولو بَعْدَ حِيْنٍ؛ كما جاء في الحديثِ الآخَرِ الذي قال فيه النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَرْضَى اللهُ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ".

فَأَحْيَانًا قد لا يَجِدُ الإنسانُ منك _مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ_ الذي يُرِيدُهُ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُكَ أَنْ تُعَامِلَهُ على ما يَهْوَى، وَأَنْتَ لا تُعَامِلُهُ على ما يَهْوَى، تُعَامِلُهُ بما أَمَرَكَ اللهُ به، ففي هذا النَّفْعُ له، والنَّفْعُ لك، فإذا غَضِبَ اليومَ سَيَرْضَى عنك غَدًا.

فَوَاللهِ وَبِاللهِ وَتَاللهِ إِنَّا لَمُوقِنُونَ بهذا تَمَامَ اليَقِينِ، ونَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ أَنْ يَزِيدَنَا وإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَمَنْ عَامَلَ اللهَ في الخَفَاءِ أَظْهَرَ اللهُ صِدْقَهُ على النَّاسِ في الجَلَاءِ، فَاتَّقِ اللهَ أَيُّهَا العبدُ في سِرِّكَ يُظْهِرْهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ على عَلانِيَتِكَ بَيْنَ النَّاسِ.

فهذا أَمْرٌ عظيمٌ مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ، فَوَاللهِ مَا نَظَرَ العبدُ إلى خَالِقِهِ جَلَّ وَعَلَاْ إلا زَادَهُ اللهُ رِفْعَةً وَإِنْ مَاتَ وَحِيدًا، انْظُرُوْا إلى البَرْبَهَارِيِّ كَيْفَ حَالُهُ؟ وَكَمْ يُذْكَرُ على مَرِّ السِّنِينَ عند أَهْلِ الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ؟ وَمَاتَ مُتَخَفِّيًا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ!!! اضْطُهِدَ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ.

شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَظْهَرُ وَأَظْهَرُ؛ كم أُوْذِيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ؟! مَاتَ محبوسًا مسجونًا في القَلْعَةِ رَحِمَهُ اللهُ، كَمْ أَظْهَرَ اللهُ مِنْ عُلُومِهِ وَفَضْلِهِ وَجَلَالَتِهِ وَنُبْلِهِ؟! الشَّيْءَ العَظِيمَ، حَتَّىْ إِنَّ مَنْ يَذُمُّهُ لِشَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذُمَّهُ فِي دِيْنِهِ وَعِلْمِهِ، يَشْهَدُ لَهُ، شَهِدَ لَهُ أَعْدَاؤُهُ.

فَيَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، هذا بابٌ عظيمٌ، ما ازْدَادَ عَبْدٌ بِاللهِ عِلْمًا؛ فَرَاقَبَ اللهَ في هذا البَابِ، إلا ازْدَادَ النَّاسُ منه قُرْبًا ولو غَضِبُوْا عليه فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، أو حَمَلُوْا عليه في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، لَكِنْ يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُظْهِرَ الْحَقَّ، وَيُعْلِيَهُ، ويُخْزِيَ البَاطِلَ، ويُرْدِيَهُ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرًا ما يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

يَسُرُّ الْفَتَى مَا كَانَ قَدَّمَ مِنْ تُقَى ... إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِيْ هُوَ قَاتِلُهْ

[التَّعْلِيْقُ]: وهذا يَدُلُّنَا _مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ_ على شَيْءٍ مع الأَثَرِ السَّابِقِ (أَثَرِ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ)؛ يَدُلُّنَا على أَنَّ العالِمَ مَنْ كان عالِمًا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، وَأَنَّهُ يُعَامِلُ نَفْسَهُ بهذا العِلْمِ الذي مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ بِهِ عَلَيْهِ، فَيُلْزِمُهَا بِهِ، فَيَظْهَرُ على آثَارِهِ في النَّاسِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أُنَبِّؤُكُمْ بِالْفَقِيْهِ كُلِّ الْفَقِيْهِ؟ قَالُوْا: بَلَىْ، قَالَ: مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَلَا يَدَعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى مَا سِوَاهُ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ، وَلَا عِلْمٍ لَيْسَ فِيْهِ تَفَهُّمٌ، وَلَا قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ.

قَالَ أَبُوْ عُمَرَ: لَا يَأْتِي هَذَا الْحَدِيثُ مَرْفُوْعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَكْثَرُهُمْ يُوْقِفُوْنَهُ عَلَىْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[التَّعْلِيْقُ]: نَعَمْ، هذا الحديثُ وَإِنْ تُكُلِّمَ فِي سَنَدِهِ لَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ثَابِتٌ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى، فَالْفَقِيْهُ مَنْ لَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ هو فِي نَفْسِهِ، ولم يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ؛ {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ}[١٧] مَنْ؟ مَنْ هُمْ؟ {الْكَافِرُونَ}، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَلَا يَيْأَسُ الإِنْسَانُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، ولا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، ولا يَأْمَنُ أَيْضًا مِنْ مَكْرِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ يَقْرَأُ ذلك فِي كِتَابِ اللهِ وفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}[١٨]، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَمَنْ خَسِرَ هو الذي يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ؛ {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِيْنَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ}[١٩] مَنْ؟ {يَعْلَمُونَ} {يَعْلَمُونَ}؛ رَجَعَ الْأَمْرُ إلى الْعِلْمِ.

فالعَالِمُ هو الذي لا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ، ولا يُؤَمِّنُ الناسَ مَكْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، بَلْ يُحَذِّرُهُمْ مَكْرَ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، ويُنْذِرُهُمْ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ عُقُوبَةُ اللهِ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ؛ {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ}[٢٠] الآيات، فَهَذَا هو العَالِمُ.

فهذه الآياتُ كُلُّهَا دَالَّةٌ لِهَذَا الذي ذَكَرَهُ أميرُ المؤمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ عَنْهُ.

(وَلَاْ يَدَعُ الْقُرْآنَ): فالْعَالِمُ؛ هذا الكتابُ لا يَشْبَعُ منه، لا يَشْبَعُ مِنْ قِرَاءَةِ هذا القرآنِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيْهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَخَافُ أَنْ يَنْدَرِجَ تَحْتَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

---

[١٧] _ يوسف (٨٧).

[١٨] _ الأعراف (٩٩).

[١٩] _ النمل (٥٠-٥٢).

[٢٠] _الأعراف (٩٧-٩٩).

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}[٢١]، ويقولُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: "تَعَاهَدُوْا القُرْآنَ؛ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا"، أَوْ: "تَفَلُّتًا[٢٢] مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا".

وَأَوْلَى النَّاسِ بهذا فِي الْمُحَافَظَةِ أَهْلُ العِلْمِ، فَلَهُمْ وِرْدٌ مِنَ الْقُرآنِ، يَخْتِمُونَ دَائِمًا وَأَبَدًا، فهذا الذي يَجِبُ، فهذا العالِمُ بِكِتَابِ اللهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(أَلَا لَاْ خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيْهَا تَفَقُّهٌ): صحيحٌ؛ لِأَنَّ العبدَ إِذَا عَمِلَ على بَيِّنَةٍ لَيْسَ كَمَنْ يَعْمَلُ على غَيْرِ بَيِّنَةٍ {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[٢٣].

فَالْوَاجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ يقولُ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}[٢٤]، وبَوَّبَ عليه الْأَئِمَّةُ، وَرَأْسُ مَنْ بَوَّبَ عَلَيْهِ وأَشْهَرُهُمْ في هذا البَابِ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: (بابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

فَلَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا فِقْهٌ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الذي يَفْسُدُ حِيْنَئِذٍ منها _مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ صَاحِبُهَا_ رُبَّمَا يكونُ أَكْثَرَ مِنَ الذي يَصْلُحُ، فَالعِلْمُ مُصَحِّحٌ لِلْعِبَادَةِ كما أَنَّهُ مُصَحِّحٌ لِلنِّيَّةِ، ولا عِلْمَ ليس فيه تَفَهُّمٌ.

فالعِلْمُ هو الفَهْمُ، الفَهْمُ هو الفِقْهُ، الفِقْهُ هو الفَهْمُ، والعِلْمُ هو الفِقْهُ، والفِقْهُ هو الفَهْمُ، تقولُ في هذا البَابِ: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ"؛ وَالفِقْهُ: يُقَالُ: فَقِهَ، وَفَقَهَ، وفَقُهَ (بالثَّلَاثِ)، وَاحِدٌ (فَقِهَ): تَعَلَّمَ، وَ(فَقَهَ): الْكَلَاْمَ، و(فَقُهَ): صَارَ الفِقْهُ له سَجِيَّةً، فَقِهَ وَفَقَهَ وَفَقُهَ، (فَقِهَ): فَهِمَ، (فَقَهَ): سَبَقَ إليه الفِقْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ، فَهِمَ قَبْلَ غَيْرِهِ، و(فَقُهَ): صَارَ الفِقْهُ لَهُ سَجِيَّةً.

---

[٢١] _ الفرقان (٣٠).

[٢٢] _ هنا في الأصل: "أَيْضًا، اللَّفْظُ الآخَرُ".

[٢٣] _ محمد (١٧).

[٢٤] _ محمد (١٩).

فالعبادَةُ الَّتِيْ ليس فيها فَهْمٌ، ما فيها تَفَهُّمٌ، ما فيها مَعْرِفَةٌ، ما فيها عِلْمٌ؛ قد قَالَ اللهُ فيها: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[٢٥]؟! الجَوَابُ: لَا، فَرْقٌ بَيْنَ العالِمِ في عِبَادَتِهِ وبَيْنَ الجَاهِلِ في عِبَادَتِهِ.

(وَلَا قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ): لِمَاذَا؟ لِأَنَّ القراءَةَ الَّتِيْ ليس فيها تَدَبُّرٌ؛ ليس له إلا أَجْرُ التِّلَاوَةِ.

أَمَّا النَّفْعُ (مِنْ حَيْثُ مَا دَلَّ عليه هذا الْمَقْرُوْءُ) لَمْ يَحْصُلْ لِلْإِنْسَانِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يقولُ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}[٢٦]؛ أَيْ: يَتَفَهَّمُوْا {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[٢٧]، فالْمَقْصُوْدُ: التَّدَبُّرُ وَالتَّفَهُّمُ.

نَعَمْ؛ القِرَاءَةُ عَلَيْهَا أَجْرٌ، لَكِن المقصودُ مع ذلك هَذَا، وهو فَهْمُ ما يَقْرَؤُهُ الإِنْسَانُ لِيَعْمَلَ بِهِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقِيْلَ لِلُقْمَانَ: أَيُّ النَّاسِ أَغْنَى؟ قَالَ: مَنْ رَضِيَ بِمَا أُوْتِيَ، قَالُوْا: فَأَيُّهُمْ أَعْلَمُ؟ قَالَ: مَنِ ازْدَادَ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ إلى عِلْمِهِ.

[التَّعْلِيْقُ]: يعني: أَنَّهُ لا يَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ دَائِمًا وَأَبَدًا.

(مَنِ ازْدَادَ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ): هَذَا الذي هو عَالِمٌ ومَعَ ذلك لا يَزَالُ يَسْتَفِيدُ، قَالُوْا لِأَحْمَدَ: مَا كَفَاكَ؟! الْمِحْبَرَةُ مَعَكَ؟! قَالَ: نعم، مَعَ الْمِحْبَرَةِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، رُبَّمَا الحديثُ الذي أُرِيدُ أَنْ أَنْتَفِعَ بِهِ مَا كَتَبْتُهُ بَعْدُ (مَا سَمِعْتُهُ بَعْدُ).

فالْإِنْسَانُ الذي على دَرَجَةٍ مِنَ العِلْمِ هو الذي يستفيدُ دَائِمًا وأَبَدًا ويَتَوَاضَعُ، هذا هو العَالِمُ الحقيقيُّ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَنَا بِهَذَا، فَمَا أمر اللهُ عبدَهُ ورسولَهُ وَصَفِيَّهُ وخَلِيلَهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ

---

[٢٥] _ الزمر (٩).

[٢٦] _ ص (٢٩).

[٢٧] _ ق (٣٧).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَسْأَلَهُ الزِّيَادَةَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[٢٨].

فَمَنْ طَلَبَ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ وتَوَاضَعَ في هذا البَابِ وَاسْتَفَادَ مِنَ النَّاسِ وَلَوْ كَانَ عَالِمًا، ولو كان عَالِمًا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، لَكِنِ العَالِمُ مَا أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَزَالُ يَسْتَفِيدُ؛ هذا هو العَالِمُ الحقيقيُّ.

أَمَّا مَنْ يَسْتَنْكِفُ وَيَسْتَكْبِرُ فَهَذَا لا يُمْكِنُ أَنْ يكونَ كذلك، وهذا لم يُفِدْهُ عِلْمُهُ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ أَصْلٍ؟! هذه بَلِيَّةٌ أُخْرَى.

هذا العالِمُ الحقيقيُّ، فكَيْفَ بالعالِمِ الذي على المَجَازِ؟! مَنْ قِيْلَ عَنْهُ عَالِمٌ أَوْ شَيْخٌ وَلَيْسَ كذلك؟! هذه مصيبةٌ ثانيةٌ.

ونَحْنُ اليومَ في هذه الأَعْصَارِ قد تَسَهَّلَتْ هذه الوَسَائِلُ وَسَهَّلَتْ على كَثِيْرٍ مِمَّنْ يَقِفُ خَلْفَ هذه الشَّاشَاتِ وخَلْفَ هذه الأَجْهِزَةِ، وَتَجِدُهُ يَكْتُبُ وَيَكْتُبُ، وَالنَّاسُ لا يَعْرِفُونَ مَنْ هو! وكَثِيرًا ما تَأْتِي السُّؤالاتُ: فُلَانٌ ما تَقُولُونَ فيه؟ فُلَانٌ ماذا تَعْرِفُونَ عَنْهُ؟

نَحْنُ ما نَحْنُ شَمْسٌ شَارِقَةٌ على خَلْقِ اللهِ جَمِيْعًا الذين أَصْبَحُوْا يَكْتُبُونَ في هذه الأَدَوَاتِ، وهذه الوَسَائِلِ، كَثِيرٌ منهم لا نَعْرِفُهُمْ.

فَالشَّاهِدُ: هذه الوسائِلُ جَرَّأَتْ كَثِيرًا مِنْ هؤلاء الذي سُمُّوْا (مَشَايخَ) وَهُمْ في الحَقِيقَةِ ليسوا بِمَشَايخَ، كما قال فيهم الحافِظُ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ: أَنَّهُمْ مَشَايخُ مَجَازِيٌّ (مَجَازٌ)، أَمَّا على الحَقِيقَةِ فَلَيْسُوْا بِمَشَايخَ، نَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ وَالْإِخْلَاصَ فِي القَوْلِ والعَمَلِ، نَعَمْ.

---

[٢٨] _ طه (١١٤).

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ كَعْبٍ: أَنَّ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ غَرْفَانٌ لِلْعِلْمِ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يُرِيدُ الَّذِيْ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ.

[التَّعْلِيْقُ]: (الَّذِي لَا يَشْبَعُ...): مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ، هذا _نعم_ مِنَ الْأَخْبَارِ الْإِسْرَائِيْلِيَّةِ، لَكِنْ يَدُلُّ له أيش؟

(أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ غَرْفَانٌ لِلْعِلْمِ): يعني: لا يَشْبَعُ مِنْ طَلَبِهِ.

هذا جَاءَ فِيهِ الحديثُ الآخَرُ: مَنْهُومَانِ لَا ...؟ مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا.

فَطَالِبُ الْعِلْمِ مَا يَشْبَعُ، نَهِمٌ، كُلَّمَا وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ تَطَلَّعَ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى منه، إلى ما هو أَكْبَرُ مِنْهُ، إلى ما هو أَوْسَعُ منه، فَدَائِمًا يَزْدَادُ فِي مَعَارِفِهِ.

فهذا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَنَّ عندنا فِي سُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحِيحَةِ مَا يَدُلُّ عليه، هذا هو العالِمُ.

أَمَّا الذي يَرَى نَفْسَهُ قَدْ وَصَلَ؛ هذا لَيْسَ بِعَالِمٍ، نَعَمْ، فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَا، وَصَلَاحُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلْ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ: أَنَّ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: الَّذِيْ يَلْتَمِسُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ[٢٩].

وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا، وَكَفَىْ بِالْاِغْتِرَارِ بِاللهِ جَهْلًا.

[٢٩] _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "تَقَدَّمَ مَعَنَا، نَعَمْ".

[التَّعْلِيْقُ]: هذا هو العِلْمُ، رَأْسُ الْعِلْمِ الْخَشْيَةُ، العِلْمُ الذي لا يُوْرِثُ صَاحِبَهُ الْخَشْيَةَ؛ هذا هو العِلْمُ الذي لا يَنْفَعُ، نَعُوذُ بِاللهِ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، ولذلك كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَاْ يَنْفَعُ.

فالعِلْمُ الذي يَنْفَعُ؛ أَوَّلُ مَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ فِي نَفْسِهِ، يَتَجَمَّلُ هُوَ بِهِ، فَيَعْرِفُ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ (كَمَا قُلْنَا فِي أَوَّلِ الكَلَامِ) بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، ثم يَعْبُدُ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ على بَيِّنَةٍ، ثم يَدْعُوْ النَّاسَ {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[٣٠].

فالْعِلْمُ هو الْخَشْيَةُ؛ {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}[٣١]، رَبِّهِ}[٣١]، أَلَيْسَ هذا هُوَ الخَشْيَةُ؟! أَلَيْسَتْ هذه هي الخَوْفُ مِنَ اللهِ؟! هذا هُوَ.

{قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ}: يُصَلِّي للهِ جَلَّ وَعَلَاْ، {يَحْذَرُ الْآخِرَةَ}: يَخَافُ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، وَيَرْجُوْ رَحْمَتَهُ، لَاْ يَيْأَسُ، بين الخَوْفِ والرَّجَاءِ مَا دَامَ فِي هذه الحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَتَقَلَّبُ بين الخَوْفِ والرَّجَاءِ، فهو كالطَّائِرِ يَطِيرُ بِالْجَنَاحَيْنِ جَمِيْعًا؛ لِأَنَّهُ مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْخَوْفِ فهو خَارِجِيٌّ، ومَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ فَهُوَ مُرْجِئٌ، وَالسُّنِّيُّ هو الذي يَعْبُدُ اللهَ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَمَا دَامَ فِي الحَيَاةِ نَشِيطًا صَحِيحًا مُعَافَىً؛ يُغَلِّبُ جَانِبَ الخَوْفِ لِيَؤُزَّهُ على الطَّاعَةِ والْمُبَادَرَةِ والْمُسَارَعَةِ، وإِذَا ضَعُفَ؛ لا يَمُوتُ إلا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللهِ، فهو عظيمُ الرَّجَاءِ فِي اللهِ، فجامِعٌ بين الخَوْفِ والرَّجَاءِ، فالخَوْفُ والرَّجَاءُ كَالجَنَاحَيْنِ لِلطَّائِرِ يَطِيرُ بِهِمَا، إذا انْقَطَعَ أَحَدُهُمَا أَوِ انْكَسَرَ لَمْ يُحْسِنِ التَّحْلِيقَ والطَّيَرَانَ، هذا هو اعتقادُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هذا البَابِ.

---

[٣٠] _ العصر (٣).

[٣١] _ الزمر (٩).

فالعَبْدُ _حَفِظَكُمُ اللهُ_ يَعْبُدُ رَبَّهُ بهذا، العالِمُ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِهَذَا {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[٣٢]؛ فَجَعَلَ العِلْمَ هُوَ الْخَوْفُ هنا.

وقَالَ هُنَاكَ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[٣٣].

لَكِنْ هُنَا أَظْهَرُ، هُنَاكَ قَصَرَ الخَشْيَةَ الحَقِيقِيَّةَ على أَهْلِ العِلْمِ، أَمَّا هُنَا فَجَعَلَ العِلْمَ هُوَ الْخَشْيَةُ {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[٣٤]؟! الْجَوَابُ: لَا.

الذين يَعْلَمُونَ هم الذين يقومون الليلَ، ويَقْنُتُونَ للهِ، ويَتَقَرَّبُونَ إليه، ويَرْجُونَهُ، ويَدْعُونَهُ رَغَبًا وَرَهَبًا {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[٣٥] فهذه صِفَاتُ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

وأَهْلُ الْإِيمَانِ أَفْضَلُهُمْ بَعْدَ الرُّسُلِ وأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْعِلْمِ، هُمْ نَقَاوَةُ النَّاسِ، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ منهم، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللهِ، وَلَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: صَدَقَةُ بْنُ عَبْدِاللهِ هَذَا يُعْرَفُ بِـ"السَّمِينْ"، وَهُوَ ضَعِيفٌ عندهم، مُجْمَعٌ على ضَعْفِهِ، وهذا حَدِيثٌ لا يَصِحُّ مَرْفُوعًا، وإِنَّمَا الصَّحِيحُ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

---

[٣٢] _ الزمر (٩).

[٣٣] _ فاطر (٢٨).

[٣٤] _ الزمر (٩).

[٣٥] _ الأنبياء (٩٠).

[التَّعْلِيْقُ]: (مِنْ قَوْلِ أَبي الدَّرْدَاءِ): مَوْقُوْفٌ.

وبهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ (أَبُوْ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): لَهُ تَرْجَمَةٌ جَمِيْلَةٌ فِي كِتَابِ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللهُ، له ترجمةٌ جميلةٌ في "تَارِيخِ دِمَشْقَ"؛ لِلْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرَ، فِيهَا جَمِيعُ الدُّرَرِ أَوْ أَكْثَرُ مَا نُقِلَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مِنَ الدُّرَرِ فِي هذا البَابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَأُوْصِيكُمْ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ إِنْ جَادَ وَقْتُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوْا إلى ترجمةِ هذا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ الفَقِيهِ، كَانَ فِي الشَّامِ، فَتَقْرَؤُوْنهَا فِي هذا التَّارِيخِ؛ فَإِنِّي فيما أَعْلَمُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا تَوَسَّعَ فِي تَرْجَمَتِهِ (فِي حَسْبِ عِلْمِيْ، حَسْبِ عِلْمِي، أَتَكَلَّمُ على حَسْبِ عِلْمِي) كَمَا تَوَسَّعَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، فَتَرْجَمَتُهُ مَلِيئَةٌ بِالدُّرَرِ، الكلماتِ الْوَعْظِيَّةِ، والكَلِمَاتِ الزُّهْدِيَّةِ، وَالآدَابِ، وَالأَخْلَاقِ، والرَّقَائِقِ، والفِقْهِ، والسُّنَنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ...إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فترجَمَتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي هذا الكِتَابِ مِنْ أَوْسَعِ ما رَأَيْتُ.

وهذا الكلامُ وَإِنْ كَانَ لا يَصِحُّ مَرْفُوعًا إِلَّا أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ هذا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ، وَقَدْ قَامَتِ الدَّلَائِلُ الَّتِيْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا عليه.

فَمِنْ ذلك أَنْ يَطْلُبَ رِضَا اللهِ جَلَّ وَعَلَا، لا رِضَا النَّاسِ، يَطْلُبُ رِضَا اللهِ، يَمْقُتُ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللهِ، الذي يُهِمُّهُ هو رِضَاءُ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، لا يَنْظُرُ إلى رِضَا النَّاسِ، ما يُهِمُّهُ، إذا خَالَفُوْا أَوَامِرَ اللهِ وَرَسُولِهِ قَدَّمَ أَوَامِرَ اللهِ وَرَسُولِهِ عليهم، ولو كانَتِ الْكَثْرَةُ مُخَالِفَةً ما ضَرَّهُ أَنْ يَمْقُتَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ على خِلَافِ ما عليه مَنْ؟ ما عليه رَسُولُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَصْحَابُهُ.

وهكذا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ ذلك قِصَّةُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَدْ دَخَلَ على أَهْلِ الْمَسْجِدِ، وتَحَلَّقُوْا حِلَقًا، وَكَانَ بَيْنَ أَيْدِيْهِمُ الْحَصَى! قَالَ لهم: مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! هذه آنِيَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمِ تُكْسَرْ، وثِيَابُهُ لَمْ تُبْلَ، وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ، فَمَا

أَسْرَعَ ما خَالَفْتُمْ هَدْيَهُ! إِمَّا أَنَّكُمْ على هُدَيً أَهْدَى مِمَّا عليه النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، أَوْ أَنَّكُمْ مُفتَتِحُوْا بَابِ ضَلَالَةٍ، حِيْنَمَا رَآهُمْ (هَلِّلُوْا مِائَةً! سَبِّحُوْا مِائَةً! كَبِّرُوْا مِائَةً!) فَمَقَتَهُمْ، ما قَالَ: هؤلاءِ كَثِيرُونَ! هذا يُصْبحُ مَفْسَدَةً! هذه تُصْبحُ فِتْنَةً! لأ، قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، فَيَمْقُتُ للهِ، وَيَمْدَحُ للهِ كَمَا أَنَّهُ يُحِبُّ للهِ، وَيُبْغِضُ للهِ، فَهَكَذَا يَمْقُتُ للهِ ويُحِبُّ للهِ، يَذُمُّ للهِ وَيَمْدَحُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، فلا يُمْكِنُ أَنْ يكونَ هكذا إلا إِذَا قَامَ بِهَذَا العَمَلِ.

وهكذا (حَتَّىْ يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيْرَةً): يَرَى أَنْوَاعَ الأَوَامِرِ، وَأَنْوَاعَ الْعُلُومِ فِي هذا الكِتَابِ العَجِيبِ.

لا شَكَّ هذا كُلَّمَا ازْدَادَ المرءُ مَعْرِفَةً بِكِتَابِ اللهِ ازْدَادَ مَعْرِفَةً بِهَذِهِ الوُجُوهِ، فيَعْرِفُ نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، ومُقَدَّمَهُ، وَمُؤَخَّرَهُ، ومُقَيَّدَهُ، ومُطْلَقَهُ، وعَامَّهُ، وخَاصَّهُ، وَلَيْلِيَّهُ، ونَهَارِيَّهُ، ومَكِّيَّهُ، ومَدَنِيَّهُ، إِلَى غَيْرِ ذلك.

هذا لابد أَنْ يَمُرَّ فيه أَيْضًا على كِتَابٍ فِي التَّفْسِيرِ، يَعْتَنِي بهذا.

ومِنْ أَحْسَنِ ما يُعْتَنَى به فِي هذا البَابِ تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ يا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، الإِمَامُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ هُوَ عُمْدَةُ العُلَمَاءِ، كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ بَعْدِ مَا صُنِّفَ هَذَا التَّفْسِيرُ وَاشْتَهَرَ صَارَ عُمْدَةَ الْعُلَمَاءِ، صَارَ عُمْدَتَهُمْ هذا الْكِتَابُ.

هذا الكتابُ جامِعٌ بين الرِّوَايَةِ وبَيْنَ الدِّرَايَةِ، وبَيْنَ النَّقْدِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ لِلْمَرْوِيَّاتِ وَلِلضَّعِيْفِ.

نَعَمْ؛ فِيْهِ الْقُصُوْرُ، مَا يَخْلُو مِنْهُ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ، لَكِنَّهُ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ، فلا هو بالطَّوِيلِ الذي تَسْأَمُ إذا رَأَيْتَهُ وَتَخَافُ منه، فَتَتَهَيَّبُ وَلَا تَقْرَؤُهُ، ولا هو بِالْقَصِيرِ الْمُخِلِّ، فهو متوسطٌ جامِعٌ، مَعَ الاخْتِصَارِ جَامِعٌ.

فيا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ هذا البَابُ بابٌ مُهِمٌّ؛ بابُ التَّفْسِيرِ، وَبَابُ الْقِرَاءَةِ فيه، اجْعَلْهُ عِنْدَكَ، ولو بَعْدَ حِيْنٍ، اليَوْمَ ما فِيْهِ، بُكْرَةً تَرْجِعُ تَقْرَأُ آيَةً، نِصْفَ آيَةٍ، وَهَكَذَا.

الْمُهِمُّ أَنَّهُ يَقْبُحُ بِطَالِبِ العِلْمِ أَلَّا يَعْرِفَ تَفْسِيرَ كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ.

بَلْ هذا أَشَدُّ ما يَكُونُ قَبِيحًا فِي حَقِّ طَالِبِ العِلْمِ، كَيْفَ لا يَعْرِفُ تَفْسِيرَ القُرْآنِ الذي هو أصلُ العلومِ ومَنْبَعُ العُلُومِ، والعُلُومُ كُلُّهَا فِيْهِ؟! فهو أَصْلُهَا الذي قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[٣٦]، {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[٣٧].

وهذا الكِتَابُ مُهَيْمِنٌ على ما سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ، فهو جامِعٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الخَيْرِ، وزَائِدٌ عَلَيْهَا، هذا معنى "الْمُهَيْمِنِ" مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ.

هذا القرآنُ قَالَ اللهُ فِيهِ _جَلَّ وَعَلَا_: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}[٣٨].

فلابد _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ مِنَ الاعْتِنَاءِ بهذا التَّفْسِيرِ.

واخْتِصَارُهُ الجَمِيلُ أَيْضًا بَيْنَ أَيْدِينَا (عُمْدَةُ التَّفْسِيرِ)، فَمَنْ ضَعُفَ عَنِ الْأَصْلِ فَلْيُرَاجِعِ الْمُخْتَصَرَ مِنْهُ.

فاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ فِي هَذَا البَابِ، مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ، وَالْمَنْسُوخِ، العَامِّ، الخَاصِّ، الْمُطْلَقِ، الْمُقَيَّدِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فهذه الوُجُوهُ الَّتِيْ فِي القُرْآنِ لا بد أَنْ يَدْرِيَهَا العَالِمُ؛ حَتَّىْ إذا تَكَلَّمَ يَعْرِفُ فِي هذا البَابِ، نَعَمْ.

---

[٣٦] _ الفرقان (٣٣).

[٣٧] _ الفرقان (٣٣).

[٣٨] _ الإسراء (٩).

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّىْ تَرَىْ لِلْقُرْآنِ وُجُوْهًا كَثِيرَةً، وَلَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّىْ تَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللهِ، ثُمَّ تُقْبِلُ عَلَى نَفْسِكَ فَتَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا مِنْكَ لِلنَّاسِ.

[التَّعْلِيْقُ]: صحيحٌ، هذا الذي تَقَدَّمَ، تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ، لَكِنْ قَوْلُهُ (فَتَكُونُ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا): هذا يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ إذا مَقَتَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللهِ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ التَّوَاضُعَ للهِ جَلَّ وَعَلَا، ثم لِعِبَادِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ.

وهذه الصِّفَةُ (صِفَةُ التَّوَاضُعِ) هي صِفَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يكونَ مَلِكًا رَسُوْلًا، وبَيْنَ أَنْ يكونَ عَبْدًا رَسُولًا، فَاخْتَارَ أَنْ يكونَ عَبْدًا، فَمَقَامُ العُبُودِيَّةِ أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ وَأَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ، وَأَعْلَى الْمَقَامَاتِ.

فالعُلَمَاءُ وُرَّاثُ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجِدُهُمْ أَعْلَمَ النَّاسِ فِي هذا البَابِ، وأَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا فِي هذا البَابِ، وأَكْثَرَ النَّاسِ مَقْتًا لِأَنْفُسِهِمْ فِي هذا البَابِ.

كِبَارُ شُيُوخِنَا كانوا يَقُولُونَ عن أَنْفُسِهِمْ: نَحْنُ طَلَبَةُ عِلْمٍ!

شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الزَّمَانِ على سَعَةِ عِلْمِهِ الشَّيْخُ عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ بَازٍ _رَحِمَهُ اللهُ_ مَا أَكْثَرَ ما سَمِعْتُ منه يقولُ: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[٣٩]، إِذَا مَرَّتِ المسألَةُ واحْتَاجَ أَنْ يُرَاجِعَ؛ قَالَ: تُرَاجَعُ، تُرَاجَعُ {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[٤٠].

هكذا العَالِمُ _يا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_، هكذا العَالِمُ، وَمَنْ لَزِمَ هذا الطَّرِيقَ أَوْرَثَهُ اللهُ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ، مَنْ لَزِمَ هذا الطَّرِيقَ أَوْرَثَهُ اللهُ العِلْمَ الصَّحِيحَ.

---

[٣٩] _ الإسراء (٨٥).

[٤٠] _ الإسراء (٨٥).

أَمَّا مَنْ لَزِمَ بَابَ الافْتِخَارِ عَلَى النَّاسِ! والتَّعَاظُمِ عليهم! والتَّكَبُّرِ عليهم! فالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَوَاقِعُهُ سَيَكْشِفُهُ، فنَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا أَنْ يَسْتُرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فلابد يا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُوْرِثَنَا هذا العِلْمُ التَّوَاضُعَ للهِ أَوَّلًا، ثُمَّ التَّوَاضُعَ لِعِبَادِهِ؛ {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[٤١].

فالنَّاسُ ليسوا عَبِيدًا لنا، ولا لآبَائِنَا، ولا لِأُمَّهَاتِنَا، وليسوا بِخَوَلٍ لنا، ما جَاؤُوْنَا إلا مَحَبَّةً وَإِحْسَانًا لِلظَّنِّ بنا.

فالْوَاجِبُ عليك أَنْ تَعْرِفَ لِلنَّاسِ حَقَّهُمْ، كما هم قَدَّرُوكَ وعَرَفُوْا لك هذه الْمَنْزِلَةَ فَأَحْسَنُوْا الظَّنَّ بك، اسْتَأْمَنُوْكَ على أُمُورِهِمْ فَاسْتَسَرُّوْكَ بها، اسْتَأْمَنُوكَ على دِيْنِهِمْ فَاسْتَفْتَوْكَ فِيهِ، اسْتَأْمَنُوكَ على أَخْلَاقِهِمْ فَجَاؤُوْا يَذْكُرُونَ لك ما عِنْدَهُمْ مِنَ الْقُصُورِ.

فَكُنْ كذلك _أَنْتَ_ قَرِيبًا منهم، لَيِّنًا، هَيِّنًا؛ فَإِنَّ النَّاسَ ما جَاؤُوْكَ بِالْعَصَا، جَاؤُوْكَ بِشَيْءٍ فِي قُلُوبِهِمْ قَدْ قَذَفَهُ اللهُ لَكَ، وهذا مِنَ اللهِ؛ فَإِنَّ القلوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ، ليس بِيَدِ أَحَدٍ، فَالْإِقْبَالُ بها، والْإِدْبَارُ بها عنك _أَيُّهَا العَالِمُ_ لَيْسَ بِيَدِ أَحَدٍ، إِنَّمَا هو بِيَدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، فهو الذي يُقْبِلُ بها، وهو الذي يُدْبِرُ بها، فَأَنْتَ إذا عَامَلْتَ اللهَ وَجَدْتَ نَتِيْجَةَ ذَلِكَ مَعَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، فَيُقْبِلُ عليك بِقُلُوبِ العِبَادِ.

فالْوَاجِبُ علينا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ جَمِيْعًا أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ هذا الْمُنْطَلَقِ؛ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَأْتُونَكَ مَحَبَّةً فِيْكَ، وَثِقَةً فيك، وتَقْدِيرًا لك، فَإِذَا كانوا كذلك؛ فالْوَاجِبُ أَنْتَ أَنْ تُعَامِلَهُمْ وَأَنْ تُبَادِلَهُمْ بِنَفْسِ هذا

---

[٤١] _ آل عمران (١٥٩).

الشُّعُورِ، فَتَكُونَ لِلصَّغِيرِ أَبًا، وَلِلْمُسَاوِي أَخًا، وَلِلْكَبِيرِ ابْنًا، وَأَنْ تكونَ رَحِيمًا، عَطُوفًا، هَيِّنًا، لَيِّنًا، تَسْعَى فِي تَحْقِيقِ مَصَالِحِهِمُ الَّتِيْ يَحْتَاجُونَ إليها بِكُلِّ ما تَسْتَطِيعُ، كَمَا أَنَّكَ تُنَوِّرُهُمْ، وتُنَوِّرُ بَصَائِرَهُمْ بِأَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ بِالْعِلْمِ.

فهكذا أَيْضًا العَالِمُ لِلنَّاسِ _يا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ بِمَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((وَارِثِ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))، والنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ يقولُ: "إِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ"، والوالِدُ رحيمٌ، الوالِدُ رحيمٌ، ومع ذلك يُؤَدِّبُ.

وَقَسَاْ لِيَزْدَجِرُوْا وَمَنْ يَكُ رَاحِمًا ... فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

هُوَ رَحِيْمٌ، لَكِنْ قَدْ يَحْتَاجُ أَحْيَانًا إلى القَسْوَةِ لِتَأْدِيبِ أَبْنَائِهِ (أَوْلَادِهِ عُمُومًا)، لَكِنِ الرَّحْمَةُ غَالِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا هي الَّتِيْ مُدِحَ بها النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه القَسْوَةُ هي مِنَ الرَّحْمَةِ؛ لأنَّكَ تريدُ بها الخَيْرَ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}[٤٢] أيش صِفَاتُهُ؟ أيش؟ { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}: مُخَالَفَتُكُمْ والْمَشَقَّةُ عليكم؛ هذه تَعِزُّ عليه {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ}: يعني: على هِدَايَتِكُمْ، وعلى إِيْصَالِ الخَيْرِ إليكم {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}: فَالرَّأْفَةُ والرَّحْمَةُ مِنْ صِفَاتِهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَاللهُ جَلَّ وَعَلَاْ قَدِ اتَّصَفَ بالرَّحْمَةِ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ارْحَمُوْا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"، قَدَّمَهَا بِقَوْلِهِ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ"، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}[٤٣].

فَالشَّاهِدُ: مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، العَالِمُ أَخْلَاقُهُ فِي هذا أَخْلَاقُ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بها فَإِنَّهُ بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عَنِ العِلْمِ الحَقِيقِيِّ، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ التَّوْفِيقَ لِلْجَمِيعِ، نَعَمْ.

---

[٤٢] _ التوبة (١٢٨).

[٤٣] _ آل عمران (١٥٩).

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّىْ تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوْهًا كَثِيْرَةً[٤٤]، قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: قُلْتُ لِأَيُّوْبَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ: "حَتَّىْ تَرَىْ لِلْقُرْآنِ وُجُوْهًا كَثِيْرَةً"؟ فَسَكَتَ يَتَفَكَّرُ[٤٥]، قُلْتُ: هُوَ أَنْ يَرَى لَهُ وُجُوْهًا، فَيَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ، قَالَ: هَذَا هُوَ، هَذَا هُوَ.

[التَّعْلِيْقُ]: نَعَمْ، يَرَى له وُجُوْهًا؛ رُبَّمَا لا يَسْتَحْضِرُ شَيْئًا فِي هَذَا البَابِ مِنْهَا، فَيَهَابُ الْإِقْدَامَ عليه، يَهَابُ الْقَوْلَ فِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إِذَا كَانَ أَبُوْ بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِيْ وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِيْ إِنْ أَنَا قُلْتَ فِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟! وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هذا البَابَ بَابٌ عظيمٌ؛ لِأَنَّ أَجْرَأَ النَّاسِ على الْفُتْيَا أَجْرَؤُهُمْ على النَّارِ؛ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

والعَالِمُ الصَّحِيحُ هُوَ الذي لا يُقْدِمُ على الْفُتْيَا حَتَّىْ يَرَى مَخْرَجَهُ مِنْهَا، هذا هو العَالِمُ، والْمَخْرَجُ وَحُسْنُ الْمَخْرَجِ إِنَّمَا يكونُ بِمَعْرِفَةِ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ، بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ بِدَلِيلِهِ، فَيُفْتِيْ بِـ: قَالَ اللهُ وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ له فيقولُ: "لا أَدْرِي"، يقولُ: "لَا أَدْرِي"، لَا يَضُرُّهُ أَنْ يقولَ: لَا أَدْرِي، فَإِذَا كَانَ مُلَازِمًا لِـ"لَا أَدْرِي" نَجَا، وَإِنْ ضَيَّعَهَا هَلَكَ، إِذَا تَرَكَ العَالِمُ "لَا أَدْرِي" أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَجْلَانَ، وَأَخَذَهَا النَّاظِمُ فَقَالَ:

فَمَنْ كَانَ يَهْوَىْ أَنْ يُرَىْ مُتَصَدِّرًا ... وَيَكْرَهُ "لَا أَدْرِيْ" أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُهْ

فَيَتَهَيَّبُ العَالِمُ؛ إِذَا جَاءَ يقولُ: "لَا أَدْرِي".

---

[٤٤] _ هنا في الأصل قال الشيخ حفظه الله تعالى: "تَقَدَّمَ".

[٤٥] _ هنا في الأصل قال الشيخ حفظه الله تعالى: "يَتَفَكَّرُ، نَعَمْ".

سَمِعْتُ شَيْخَنَا شَيْخَ الإِسْلَامِ الشَّيْخَ عَبْدَالعَزِيزِ (فِي هَذا الزَّمَن) رَحِمَهُ اللهُ مَرَّاتٍ وَكَرَّاتٍ، فَيُقْرَأُ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، فَيُطْرِقُ برَأْسِهِ هَكَذَا، فَيَقُولُ: أَعِدْ، يُقْرَأُ عَلَيْهِ؛ أَعِدْ، وَيُمْكِنُ سَمِعْتُمْ شَيْئًا مِنْ هذا فِي (نُوْرٍ عَلَى الدَّرْبِ)، وَقَدْ سَمِعْتُهُ أَنَا أَيْضًا فِي (نُوْرٍ عَلَى الدَّرْبِ)، لَكِنْ رَأَيْتُهُ بِعَيْنَيَّ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَشَهِدْتُهُ، ثُمَّ يقولُ: "يُنْظَرُ، يُرَاجَعُ"، ولا يُفْتِيْ، وَلَا يُفْتِيْ، وَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَكْثَرَ ما رَأَيْنَا مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ على سَعَةِ عِلْمِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ!

فالعَالِمُ الحقِيقِيُّ هو الذي يَلْزَمُ هذا البَابَ وَيَتَهَيَّبُ مِنْ أَنْ يقولَ فِي كِتَابِ اللهِ وفِي دِينِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يقولُ: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }[٤٦]، إلى أَنْ قَالَ: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}؛ فَجَعَلَ الْقَوْلَ عليه بِلَا عِلْمٍ أَشَدَّ الْمَرَاتِبِ؛ لِأَنَّهُ رَتَّبَهَا مِنَ الْأَهْوَنِ إِلَى الْأَشَدِّ (مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى)، فَمَا قِيْلَ بِالشِّرْكِ مَعَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَلَا مَا دُوْنَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّهُ لَتَأْتِيْنِيْ الْقَضِيَّةُ أَعْرِفُ لَهَا وَجْهَيْنِ، فَأَيُّهُمَا أَخَذْتُ بِهِ عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَضَيْتُ بِالْحَقِّ.

[التَّعْلِيْقُ]: يعني: يَعْرِفُ الْخِلَافَ، إِنْ قَالَ بِهَذَا؛ فَقَدْ قَالَ وَمَعَهُ دَلِيلٌ، وَإِنْ قَالَ بِهَذَا؛ فَقَدْ قَالَ وَمَعَهُ دَلِيلٌ.

مِثَالُ الْبَسْمَلَةِ (مَثَلًا): إِذَا قُلْتَ: (اجْهَرْ بِالبَسْمَلَةِ)؛ مَعَكَ فيها دَلِيلٌ، (لا تَجْهَرْ بِالبَسْمَلَةِ)؛ مَعَكَ فِيهَا دَلِيلٌ (مِثْلٌ)، وَقَدْ أَسَرَّهَا النَّبِيّ وَقَدْ جَهَرْ، وَالكُلُّ مِنْهُمْ رَوَىْ لِمَا حَضَرْ، أَوْ: كُلُّ وَاحِدٍ رَوَىْ لِمَا حَضَرْ، وَأَنَسٌ قَدْ شَاهَدَ الْحَالَيْنِ كَمَا رَوَاهُمَا مُفَصَّلَيْنِ.

---

[٤٦] _ الأعراف (٣٣).

وَهَكَذَا، فَإِذَا تَبَيَّنَ لك أَنَّ هذا مَعَهُ دليلُ حَقٍّ؛ وهَذَا مَعَهُ...؛ يَعْنِي: يَسُوغُ فِيهِ الخِلَافُ.

وهكذا مِثْلُهُ القِرَاءَةُ: لَمَّا لَبَّبَ عُمَرُ، وجَاءَ بِهِ إلى النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالْ: سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ على غَيْرِ مَا...؛ فَعَلَهُ مَعَ مَنْ؟ مَعَ مَنْ؟ أَجِيْبُوْا، نَعَمْ، قَالْ: هَذَا يَقْرَأُ عَلَى خِلَافِ ما سَمِعْتُ، قَالْ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قَرَأَ، قَالْ: هَكَذَا عَلَيَّ أُنْزِلَ، قَالَ لِأَخِيهِ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قَرَأَ، قَالَ: هكذا عَلَيَّ أُنْزِلَ.

يُقَالُ أَيْضًا فِي هَذَا؛ شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَبْدُالعَزِيزِ يقولُ رَحِمَهُ اللهُ: صَلَّى مَرَّةً وَقُرِئَ أَوْ قَرَأَ الإِمَامُ بِغَيْرِ الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُوْرَةِ، فَالشَّيْخُ رَدَّهُ، فَقَالَ: هَذِهِ قِرَاءَةٌ... فَكَانَتْ سَبَبًا فِي إِنْشَاءِ وَفَتْحِ كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَمِثْلُ هَذَا؛ نَعَمْ، تَعْرِفُ أَنَّ هذه قِرَاءَةٌ، وَأَنَّ هَذِهِ قِرَاءَةٌ، يَتَرَتَّبُ على هذه القِرَاءَةِ حُكْمٌ، وَيَتَرَتَّبُ على هَذِهِ القِرَاءَةِ حُكْمٌ.

وهُنَاكَ كِتَابٌ لَطِيفٌ أَيْضًا لِأَخِينَا الدُّكْتُوْرِ مُحَمَّدٍ عُمَرَ بَازْمُوْل: "أَثَرُ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ فِي الْأَحْكَامِ"، جَمِيلٌ جِدًّا، فَأَنْتَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ على هذه القِرَاءَةِ كَذَا...، وَعَلَى هذه القِرَاءَةِ كَذَا...؛ فهذا وَجْهٌ، وَهَذَا وَجْهٌ، وَقِيسُوْا على ذلك مَا شِئْتُمْ.

الشَّاهِدُ: العَالِمُ تَأْتِيهِ الْمَسْأَلَةُ وهو عنده العِلْمُ فيها، وإِضَافَةً إلى العِلْمِ _وهو الفِقْهُ_ يكونُ عَارِفًا بِالخِلَافِ فيها؛ هذا هو العَالِمُ الحَقِيقِيُّ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالْ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْاِخْتِلَافَ لَمْ يَشُمْ رَائِحَةَ الْفِقْهِ بِأَنْفِهِ.

[التَّعْلِيْقُ]: خَلَاصْ، إِذًا نَقِفُ عند هذا، وَلَعَلَّنَا إِنْ شَاءَ اللهُ نُوَاصِلُ يَوْمَ غَدٍ بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هذا البَابِ النَّافِعِ، وَفِي آخِرِهِ إِنْ يَسَّرَ اللهُ لنا أَضَفْنَا شَيْئًا مِمَّا يُنَاسِبُ أَنْ يُذْكَرَ فِي هذا البَابِ.

وَنَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُوْرِثَنَا وَإِيَّاكُمُ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْفِقْهَ فِي الدِّيْنِ وَالبَصِيرَةَ فِيهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ طُلَّابَ عِلْمٍ حَقِيقَةً، لَا مَجَازًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، كَمَا أَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْتُرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ، وَأَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِنَا، ويُؤَمِّنَ رَوْعَاتِنَا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، كَمَا نَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَكُمْ وَأَحْوَالَ جَمِيْعِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيُصْلِحَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ[٤٧].

[٤٧] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىٰ الصَّوَابَ، فَجَزَىٰ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.